فقه اللغة العربية

— ٢ —

للأستاذ محمد إبراهيم

أما محاضرات فقه اللغة العربية لكلية اللغة العربية في الجامعة الأزهرية فهي محرّرة تحريراً جيداً غير أنها ليست في فقه اللغة العربية بالمعنى الذي أريده وبحوثها مع أرقام صفحاتها هي — ٣ — اللهجات . معنى اللهجة — ٤ — نسبة اللهجة إلى اللغة — ٥ — تكوّن اللهجات وأسباب اختلافها — ٦ — أسباب اختلاف اللغات — ٧ — بطلان أنّ اللهجات نشأت عند بناء بابل — ٧ — لا يمكن أن تبقى لغة محتفظة بوحدتها — ٩ — لهجات العربية — تقسيم اللغات العربية — ١٠ — لغة الجنوبيين أعربية هي أم لا — ١٢ — ضرورة اللغة الجنوبية من عربية الشمال — ١٣ — الموطن الأصلي للعربية — ١٣ — دلائل تعدد اللهجات العربية — ١٦ — تكوّن اللهجات العربية — ١٧ — كيف كان لسان اسماعيل دون القحطانيين أصل العربية — ١٩ — تغالب اللهجات العربية — ٢٠ — عوامل تغلب القرشية — ٢١ — ما أفادته القرشية بعد تغلبها — ٢٣ — القبائل العربية — انقسام القبائل العربية الى عدنانية وقحطانية — ٢٤ — فصحاء القبائل وسبب فصاحتهم — ٢٥ — أفصح القبائل قريش وسبب ذلك — ٢٧ — التفصيح من اللهجات — مصدر التعرف على اللهجات — ٣١ — مظاهر اختلاف اللهجات — ٣٢ — أهم ما ترجع إليه مظاهر هذا الاختلاف .

وهذه البحوث يمكن أن يكون بعضها تحت عنوان : تاريخ اللغة، وبعضها الآخر تحت عنوان : تاريخ العرب وليس شيء منها في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

٣٣ — الابدال — الابدال واختلاف اللهجات — ٣٦ — الأحوال التي يكون فيها الابدال من عمل القبيلة الواحدة — ٣٩ — الأدلة على أن الابدال في غير ما تقدم ينشأ

من تعدد القبائل — ٤٢ — الابدال في الحركات وأمثلة على ذلك — ٥٢ — الابدال في الحروف — ٥٥ — قانون الابدال في الحروف — ٥٧ — أمثلة الابدال المطرد في الحروف — ٨٥ — أمثلة الابدال غير المطرد — ٨٧ — الاماتة — ٩٠ — التفخيم والترقيق — ٩١ — الحروف بسدد التفخيم والترقيق — ٩٢ — الاخفاء والاظهار — ٩٣ — الاخفاء والاظهار في الحروف — ٩٤ — الاخفاء والاظهار في الكلام — ٩٦ — الفك والادغام — ٩٧ — ما اتفقوا على إدغامه أو فكه — ٩٧ — ما اختلفوا في فكه أو إدغامه — ١٠١ — الاختلاف في الاعراب — اختلاف العلماء في التوجيه الاعرابي — اختلاف العرب في مواضع الاعراب — ١٠٥ — الزيادة والنقصان — المراد من الزيادة والنقصان هنا — ١٠٥ — أمثلة النقصان — ١٠٨ — أمثلة الزيادة — ١١٢ — القلب — ما يفهم من لفظ القلب — ١١٣ — بعض أنواع القلب المكاني — ١١٣ — آراء العلماء بصدد هذا النوع — ١١٤ — الرد على آراء العلماء هذه — ١٦٠ — ردّ الكلمات المنقوصة والمزيدة — رد الكلمات المنقوصة — ١٦٢ — رد الكلمات الرباعية والخماسية — ١٦٣ — تعارض اشتقاقين لرد الكلمة إلى أصلها — ١٦٨ — رد الكلمات الزائدة على خمسة — ١٦٩ — رد الكلمات المقلوبة — ١٧٠ — رد الكلمات المبدلة — ١٧١ — رد الكلمات المنحوتة.

وهذه البحوث إلا واحداً منها في قواعد اللغة العربية في الصرف والاشتقاق والتجويد والنحو فليس شيء منها ما عدا الواحد المستثنى في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

١٢٠ — تعدد المعنى للفظ الواحد — ١٢١ — المشترك اللفظي — ١٢٢ — آراء العلماء في المشترك اللفظي — ١٢٣ — التضاد — ١٢٤ — آراء العلماء في التضاد — ١٢٥ — نظرة في التضاد — ١٢٧ — المترادف — مذاهب العلماء في المترادف — ١٣٠ — نظرة في آراء العلماء بصدد المترادف — ١٣٤ — تداخل اللغات — ١٣٥ — ما ينشأ من تداخل اللغات — ١٣٩ — توافق اللغات — المراد من التوافق — ١٤١ — متى تكون الكلمة من المعرب دون المتوافق — ١٤٣ — المهمل من كلام العرب ما يمكن تكوّنه من كلام العرب — ١٤٤ — نسبة المستعمل إلى ما يمكن استعماله — ١٤٤ — أعدل الأبنية المستعملة وسبب ذلك — ١٤٥ — المهمل من كلام العرب وسبب ذلك — ١٤٨ — صلة الألفاظ بالمعاني — ١٤٩ — مناسبة الألفاظ للمعاني — ١٥٣ — دوران المادة على معنى واحد — ١٥٤ — دوران تقلبات الكلمة على معنى واحد — ١٥٦ — تقارب الألفاظ لتقارب المعاني

وهذه البحوث هي الأخرى إلاّ واحداً منها من علم اللغة لا من علم فقه اللغة .

ومن هذا يتضح أيضاً أن المراد بفقه اللغة في هذه المحاضرات هو عين المراد به في كتاب فقه اللغة السابق وهو : علم اللغة : نفسه بلا فرق في المدلول وأن علم اللغة علم واسع يتسع لكثير من البحوث التي أخذت كل عدة بحوث منها متشابهة تتجمع وتكون علماً واحداً مستقلاً عما عداه ويسمى باسم يلائمه ويتخصص في دراسته علماء .

ولعل أعظم هذه البحوث جميعاً قدراً وأبلغها أثراً في اللغة وأكثرها فائدة وأدقها علاجاً وأوفرها نصيباً وعناية من جهود علماء اللغات الغربيين في العصر الحاضر البحث الخامس أو العلم الخامس من علوم التمهيد السبعة الذي استثنيته منها وقلت فيه : الذي له عندي كل التقدير وهو : البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما الموسوم برقم ٥ في ص ٩ من الكتاب الأول (علم اللغة) طبعة سنة ١٩٥٠ وقد استثنيته منها لأني أراه وحده دون غيره من هذه البحوث كلها الجدير بأن يكون فقه اللغة في العربية وقد شرح الأستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي هذه الشعبة أو هذا البحث فقال : إن موضوع هذا الفرع هو البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما بأن تبحث مثلاً عن الأصول الاغريقية واللاتينية وغيرها التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات الفرنسية أو الأصول السامية القديمة التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات العربية ويطلق على هذا البحث اسم الاتيمولوجيا (Etymologie) أي أصول الكلمات .

ويختلف هذا البحث عن البحثين السابقين علم الصوت وعلم الدلالة في أنهما يدرسان أموراً كلية ويرميان إلى كشف القوانين العامة الخاضعة لها ظواهر الصوت أو ظواهر الدلالة، على حين أن هذا البحث يدرس أموراً جزئية وليس من أغراضه ولا من شأن دراسته الوصول إلى قوانين فهو يبحث عن الأصول التي جاءت منها كل كلمة من كلمات اللغة على حدتها .

ولكن العلة وثيقة — على الرغم من ذلك — بينه وبين البحثين السابقين، فدراسته تفيدهما كثيراً كما انه ينتفع كثيراً بدراستهما وذلك أن معرفة أصول الكلمات — (موضوع هذا البحث) يساعد كثيراً على الوقوف على تطور الأصوات وتطور الدلالات وعلى كشف القوانين الخاضع لها هذا التطور في مظهريه ، أي يعين البحثين السابقين (الصوت والدلالة) على الوصول الى أغراضهما ، كما أن الوقوف على القوانين التي يخضع لها كل من الصوت والدلالة في تطورها (وهو موضوع البحثين السابقين) يساعد على معرفة أصول الكلمات، أي يساعد هذا البحث على الوصول الى أغراضه .

هذا ومن أهم شعب أصول الكلمات شعبة تبحث عن أصول الأعلام على اختلافه

أنواعها أعلام القبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار والناس ونحو ذلك — ويسمى أنوماستيك (Anomastique).

ومن أعظم الكتب العربية في هذا الفرع كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ومعجم ما استعجم في أسماء الأماكن للبكري [1]

ويلائم هذا المنحى ما ورد في منهاج فقه اللغة للسنة الرابعة في كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية في الفقرتين (ب) و(حـ) من المادة الأولى من المنهج وهما: —

ب — طريقة رد كلمات كثيرة من اللغة الى أصول قليلة تولدت منها بالاشتقاق والزيادة والقلب والابدال والنحت والتجوز.

حـ — التطبيق على هذه الطريقة بدراسة عشرين أصلاً وبيان ما تفرع منها مع ملاحظة أن تكون الصلة بين الفروع وأصولها بينة معقولة مثل أز. ثث. جر. درّ. شبّ. صرّ. عف. قضّ. لق. قص.

ويلائم هذا الفهم لعلم: فقه اللغة ا فهم عالم باكستاني جليل من علماء اللغات له وهو السيد كرامت حسين كنتوري فقد ألّف كتاباً في ثلاثة أجزاء سمّاه: فقه اللسان: اي فقه اللغة ويريد باللسان اللسان العربي ثم نحا فيه نحواً قريباً من هذا النحو وقال في مقدمته ما يأتي:

«أريد أن أذكر في هذه الوجيزة ماهية اللسان العربي وحديث تكون مصادرها وأن أنسب المصادر وأرجعها ميزاً بين المصادر الأصلية والفرعية وبين المعاني الحقيقية للمصادر ومشتقاتها والمعاني المجازية لها باحثاً عن أسباب صورة المصادر الأصلية بصورة المصادر الفرعية وعن علاقات نقلت المصادر والمشتقات من المعاني الحقيقية الى المجازية والغرض من البحث ردّ كثير من الكلمات المنثورة إلى قليل من المصادر الأصلية وجعل الوضع أمراً عقليّاً ليهون على طلاب العربية خطبُها ويحلو لهم كسبُها».

وإني لأميلُ كلَّ الميل إلى أن يكون هذا الاسم (فقه اللغة) مقصوراً على هذا البحث (أصول الكلمات) دون غيره ولقد آن أن أعرّف (فقه اللغة) فأقول: —

قالوا: الفقه. العلم بالشيء والفهم له والفطنة فيه

وقال ابن الأثير: اشتقاقه من الشقّ والفتح

وقال الراغب الاصفهاني: الفقه التوصّلُ الى علم غائب بعلم شاهد وهو أخص من العلم

---

(١) هذا الكتاب يطبع الآن بتعليق حضرة العلامة الثقة الفحل الدكتور مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

وقالوا : العلم اليقين والعلم المعرفة
وقالوا : الفهم العلم والفهم المعرفة
وقالوا : الفطنة في الشيء العلم به والمهارة فيه ومعرفة غوامضه ودقائقه
ومن مجموع هذه الأقوال نستطيع أن نعرف فقه اللغة فنقول : —
فقه اللغة : التوصل الى معرفة غائبها بشاهدها وإلى كشف غوامضها ودقائقها والمهارة في ذلك، والفقه أخص من العلم أو : —
فقه اللغة : معرفة ما خفي من اللغة بما ظهر منها والكشف عن غوامضها ودقائقها وموضوعه ألفاظ اللغة العربية المفردة

والخفي الغامض الدقيق في اللغة العربية إنما هو الأصول الأولى التي انحدرت منها الكلمات والعلاقات بين ألفاظ المادة الواحدة من ناحية الأصلي والفرعي والحسي والمعنوي والحقيقي والمجازي منها ومن ناحية المعنى الواحد الذي تدور حوله ألفاظ المادة الواحدة ولذلك .

كان منهاج هذا العلم في اللغة العربية : البحث في المادة الواحدة عن أصل لما بين ألفاظها ثم البحث عن المصدر الأول الذي انحدر منه هذا الأصل في اللغة العربية نفسها وفي أصولها اللغات الساميَّة ثم البحث عن الفروع الحقيقية والمجازية التي تتفرع من هذا الأصل مع بيان العلاقات بين كل منها .

وقد قلت في الصفحة الثانية عشرة من العدد ٤٥٨ من مجلة الثقافة الغراء الصادر في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ٧ من اكتوبر سنة ١٩٤٧ م ما يأتي تقريباً .

والمراد بأصل الكلمة اللفظ الذي اشتقت منه جميع ألفاظ المادة من أفعال ومصادر ومشتقات قياسية وغير قياسية واشتملت على أحرف الأصل ومعناه بصور مختلفة وأصول الكلمات بهذا المعنى يعرفها علماء اللغات جميعاً الآن . وقد بيَّنها علماء العربية منذ ألف سنة وهي قسمان أسماء الأصوات وأسماء الأعيان فأما أسماء الأصوات فكانت أصول الكلمات في الطور الأول لنشوء اللغة وتكوينها وأما أسماء الأعيان فلما ارتقت اللغة وتجاوزت هذا الطور الأول وأخذ الناس يتعمقون أسماء الأعيان لمسمياتها أصبحت هذه الأسماء أصول الكلمات . وإليك بعض الأمثلة لبيان منهاج البحث في علم فقه اللغة .

اسم الصوت : مثاله .

لَبْ لَبْ : وهو حكاية صوت لحس الشاة ولغها وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا :

لبلبت الشاة لبلبةً في اللسان : واللبلبةُ لحسُ الشاة ولدها وقيل هو أن تخرج الشاة لسانها كأنها تقول لَبْ لَبْ .

وإذ كان لحس الشاة ولدها دليلاً على عطفها ورقتها عليه استعملت اللبلبة وهي المشتقة من حكاية الصوت : لب لب للدلالة على الرقة نفسها في اللسان : واللبلبة الرقة على الولد والفعل منه لبلبت الشاة على ولدها إذا لحسته وأشفقت عليه حين أضعه أي عطفت عليه وأشفقت .

وإذ كان أول ما تستقبل الشاة من ولدها وتلبابهُ أي تلحسه هو الصدر وموضع النحر سمي هذا المكان باللبلب واللبب واللبة في اللسان : واللبةُ : وسط الصدر والنحر والجمع لبات ولبابٌ واللبب كاللبة وهو موضع القلادة من الصدر واللبلبُ النحر :

وسموا الرباط الذي يشد على لبة الدابة والناقة للرحل والسرج لمنعه من الاستئخار لما من هذا في اللسان : واللبب معروف وهو ما يشد على صدر الدابة والناقة للرحل والسرج يمنعهما من الاستئخار والجمع ألباب لم يتجاوزوا به هذا البناء .

ومن اللبة واللبب واللبلب وهو وسط الصدر اشتقوا الفعل لب وألب فقالوا : لب بالمكان وألبَّ به وهو من البروك ووضع البعير لبته على الأرض في اللسان : ولب بالمكان وألب أقام به ولزمه . ومنه قالوا : ألبَّ على الأمر : إذا لزمه فلم يفارقه في اللسان : وألب على الأمر : لزمه فلم يفارقه : وقولهم لَبَّيْك منه : أي لزوماً لطاعتك . وفي الصحاح تقيماً على طاعتك . ولعلَّ مادة رب قد انحدرت من لب بإبدال اللام راء فقالوا : أرب بالمكان إذا لزمه في اللسان : وأربت الابل بمكان كذا : لزمته وأقامت به فهي إبل مرابٌّ : لوازم ورب بالمكان وأربَّ : لزمه .

واللام والراء متجانسان مخرجاً متقاربان صفة ، فالابدال بينهما كثير جداً مثل صرَّ وصلَّ : إذا صوَّت وجُلْفٌ وجُرْفٌ : إذا ذهب ماله وعرقُ القربة وعلقُها واحد وهو ما تعلقُ منه والسُّدلُ والسُّدرُ إرسال الشعر وسبم أسطٌ وأسرطُ : إذا لم يكن له ربش وتدفدل الشيء وتدردر : إذا تحرك متدليًا . وأمثال ذلك لا يكاد يحصى

اسم العين : مثاله : —

لفظ الذهب : وهو المعدن النفيس الأصفر الذي لا يصدأ فقد ورد هو وبعض مشتقاته في الارمية والعبرية والعربية فهو في الارمية (دَاهْبَا) أي ذهب واشتق الارميون

منه فعلاً فقالوا (ذَهَّبه) : طلاه وموهه بالذهب وهو في العبرية (زَهَّب) وقد اشتق العبريون منه فعلاً فقالوا (زَهِيب) أي طلا وموّه بالذهب .

وهو في العربية ذَهَبٌ : وقد اشتق العرب منه فقالوا : ذهّب الشيء يذهبه تذهيباً وأذهبه يذهبه إذهاباً : إذا طلاه وموهه بالذهب فالفاعل مذهِّب ومذْهِب والمفعول مذهَّب ومذْهَب وشيء ذهيب موه بالذهب — وهذا معنى حسي حقيقي والأصل فيه الذهب وقالوا : ذَهِبَ الرجل يذهب ذهباً كفرح : إذا هجم على ذهب كثير في منجمه فرآه فزال عقله وبرق بصره من كثرة عظمه في عينه فلم يطرف فهو ذهب وهذا معنى حقيقي معنوي من تأثير الذهب .

ومن زوال العقل لرؤية الذهب الكثير قالوا : ذَهَب في الأرض يذهب بفتح العين فيهما ذهاباً وذهوباً ومذهباً : مضى وانصرف فهو ذاهب وذهوب للمبالغة ومنه في الامور المعنوية : ذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهباً أي رأى فيه رأياً والمذهبُ العقيدة التي يذهب إليها الانسان وكل أولئك معاني مجازية فرعية

ولفظ الزفت : وهو القير أو القطران الذي تطلى به السفن فقد ورد هو وبعض مشتقاته في اللغات الثلاث فهو في الارمية (زِفتا) أي زفتٌ ومنه اشتقّ الارميون فعلاً فقالوا (زَفَّتْ سَفِينْتَا) أي زفت السفينة وقالوا (زفّيتا) أي مزفتٌ وهو في العبرية (زِفِت) أي زفت ومنه اشتق العبريون الفعل (زافات) أي زفّتَ . وهو في العربية زفت وقد اشتق العرب منه فقالوا زفّت السفينة بزفتها تزفيتاً ومزفتاً : إذا طلاها بالزفت فالفاعل مزفتٌ والمفعول مزفتٌ ومكان الزفت وزمانه مُزَفَّتٌ فالاصل الزفت وما اشتقّ منه فروع حقيقية

وإذ كان المراد من طلاء السفن بالزفت سدّ ثقوبها بملئها به توسعوا فقالوا زَفَّت الاناءَ يزفته زفتاً من باب نصر : ملأه : هذا قول المعاجم : زفت الاناء ملاه : بدون قيد غير أني أذهب الى أنه كان في الأصل مقيداً بلفظ الزفت وكان يقال هكذا : زفّتَ الاناء : إذا ملأه زفتاً ثم كثر الاستعمال حتى صار عامّاً : زفت الاناء : ملأه : أي بأي شيء كان الزفت وغيره .

ويقال إن لفظ الزفت انتقل من اللغة الآرميية الى اللغات السامية وآخرها العربية

ولفظ الإسار : وهو الحبل ونحوه يشدّ به الأسير فقد ورد وبعض مشتقاته في اللغات الثلاث فهو في الارميّة (إسرا) أي إسار واشتق منه الارميّون فعلاً فقالوا

(تأمر) إذا شدّ بالإسار وهو في العبرية (إسر) واشتق منه العبريون فعلاً فقالوا (أسر) شدّ بالإسار

وهو في العربية إسارٌ: وأخذ منه العربُ أسرهُ يأسره أسراً: إذ شدّه بالإسار فهو أسير ومأسور ثم سُمّي كل أخيذ أسيراً وإن لم يشدّ بالإسار فالأصل الإسار وما اشتق منه فروع حقيقية.

وإذ كان الأسرُ دليلاً على القوّة فقد قالوا: أسرهُ الله أي خلقه ذا قوّة وشدّة في الخلق فهذا فرع مجازي من الأصل ومن مجازه كذلك الأسرة رهطُ الرجل الأدنون لأنهم قوّة: عزّة له

والبحثان اللذان استفتيتهما من بحوث المحاضرات وأحدهما في دوران المادة على معنى واحد ورقم صفحته في محاضرات كلية اللغة العربية ١٥٢ والآخر في ردّ الكلمات إلى أصولها ورقم صفحته فيها ١٦٠ إذا فهم على النحو الذي أوضحته آنفاً كلاهما يُلاحَظ في منهاج فقه اللغة الذي اقترحته قبلاً (١)

هذا ما أراه في فقه اللغة ومنهاجه وأملي كبير أن يعنى بدراسة وأبي هذا محضرات أساتذة فقه اللغة في المعاهد وجميع أساتذة اللغة العربية وعشاقها. ومما كتبته يتضح أن تدريس فقه اللغة العربية لا بدّ فيه من الرجوع إلى بقية اللغات السامية أو بعضها

ولا يفوتني وأنا أختم هذا المقال أن أقول إن جميع كتب محضرات الأساتذة المحدثين التي ذكرتها فيه جديرة كل الجدارة بأن يقتنيها كل دارس لغة العربية وبأن تدرس في المعاهد الكبرى وفي متدمتها كتابا حضرة الأستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي ولكن بعنوان آخر غير فقه اللغة الذي أرجو مخلصاً أن يقصر على البحث الذي اخترته له في هذا المقال من بحوث كتاب علم اللغة له

(١) يتضح مما تقدم أن علوم العربية فيه عشرون علماً وهي:

(أ) ما يبحث منها في الحروف وهو ثمانية علوم — ١ — علم التجويد وهو من بحوث علم الصوت — ٢ — علم رسم الحروف وهو من علوم الدلالة أو علوم القواعد

(ب) — ما يبحث منها في الكلمات المفردة وهو ثمانية علوم — ١ — علم التصريف — ٢ — علم الاشتقاق — ٣ — علم الوضع — وهي جميعاً من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٤ — علم المفردات — ٥ — علم حياة اللغة — ٦ — علم اللغة المقارن — ٧ — علم فقه اللغة — علم القراءات وهي من علوم اللغة

(جـ) — ما يبحث منها في الجمل وهو عشرة علوم — ١ — علم النحو — ٢ علم المعاني — ٣ — علم البيان — ٤ — علم البديع — ٥ — علم العروض — ٦ — علم القوافي وكلها من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٧ — علم الادب — ٨ — علم تاريخ الادب سنة ٩ — علم القواعد التاريخي — ١٠ — علم القراءة لقارئ قدمنا عشرون علما.